

عن الإبداع العلميّ

■ **د. حيدر الحاج اسماعيل**

1 - منهج التسلسل التحليلي ومنهج الاستقراء المنهجي. تعرف بانها طرائق البحث في العلوم. بذلك يكون المنهج هو الطريقة التي يتبعها العالم أو المفكر أو طالب المعرفة، ليصل إلى العلم أو المعرفة بالشئء أو الظاهرة التي انكب على درسيها. والأصل اللغوي لاشتقاق لفظة منهج، هو الفعل «نهج» أي سار في طريق أو اتخذ سبيلاً. ولما كانت العلوم تختلف بمادّتها المدروسة، لذلك فإن مناهجها أو طرائق درسيها تكون مختلفة. صحيح أنه هناك ما يسمى بالطريقة العلمية scientific method، العامة، مثل العلوم الطبيعية تنصب على درس الأشياء والظواهر الطبيعية، ومن بينها علم الفيزياء الذي يدرس الطاقه وأنواعها من كهرباء وحرارة ومغناطيس وحرركات، وعلى علم الكيمياء، الذي يدرس العناصر كالأوكسجين والهيدروجين والحديد والنحاس إلخ، والأجسام الناتجة عن مزج العناصر أو اتحادها في مركبات، ومنهج العلوم الطبيعية يتألف أساسياً من البنود التالية:

1 - الملاحظة observation.
2 - القياس measurement لجمع المعلومات الكميّة عن الظاهرة المدروسة.
3 - وضع الفرضية أو السرائ العلمي

4 - التحقيق Verification والمقصود بالتحقيق، امتحان صحة الفرضية لإثباتها أو تعديلها أو إلغائها واستبدالها بفرضية أخرى. هذا هو منهج العلوم الطبيعية عموماً. وعندما أقول عموماً، أعني أن هناك مناهج فرعية تختص بالعلوم الطبيعية، مثل منهج التحليل والتركيب. فإذا أردت معرفة الماء، فإنك بالإضافة إلى تبيّك الطريقة العلمية العامة، يمكن أن تحلل الماء في المختبر، لتكتشف في يتألف من عنصري الهيدروجين والأوكسجين بنسبة حجمين من الأول، إلى حجم واحد من الثاني H2O، كما يمكنك أن تحضر حجمين من الهيدروجين مثلاً 22 ليترًا، وحجمًا من الأوكسجين هو 11 ليترًا، وتركيبهما بفصل شرارة كهربائيّة، فينتج الماء. هذه العملية الأخيرة تسمى تركيباً، والتي سبقتها تحليلًا، فيالتحليل والتركيب، أمكنت معرفة الماء، أنه أصلاً مؤلف من الهيدروجين والأوكسجين بنسبة محددة. وقد وصف علماء المنطق أهمية التحليل والتركيب في العلوم بقولهم: العلم تحليل بين تركيبين.
وبصد ذلك فإن المعرفة بالماء تبدأ بملاحظته، أو الملاحظة عامة إجابلية وهو مركب، ثم تحليله ثم بتركيب عناصره وإنتاجه من جديد.

لا بد أن أضيف إلى ما تقدم يذكر منهج الاستقراء induction، ومنهج الاستدلال deduction. المنهج الأول يخص العلوم الطبيعية التي كنا بصدد الكلام عليها، وهو يعني جمع المعلومات المتشابهة بصورة عامة، مثلاً: إذا سخنا الحديد وعرفنا أنه يتمدد بالحرارة، وسخنا النحاس وعرفنا أنه يتمدد بالحرارة، وسخنا الرصاص وعرفنا أنه يتمدد بالحرارة، ثم الرئيق والذهب والفضة، وعرفنا أنها تتمدد بالحرارة، يمكننا بعد ذلك أن نعلن التعميم العلمي التالي وهو: كل المعادن تتمدد بالحرارة. مثل هذا المنهج يسمى استقراءً.

الاستدلال هو المنهج الممتاز للعلوم الرياضية mathematics، مثل الحساب والجبر والهندسة. حتى أن بعض المناطق يُعرّف الرياضيات بقوله، إنها العلوم الاستدلالية -hypohtico- deductive، فهي تستند إلى افتراضات نظرية بحت، تستدل منها نتائج في النظريات والعلاقات الرياضية المتنوعة.

العلوم البيسكولوجية والعلوم الاجتماعية لها مناهجها أيضا. وقد حاول بعض العلماء النفسيين والاجتماعيين أن يطبق طرائق العلوم الطبيعية على العلوم البيسكولوجية والاجتماعية. ولكن بعضاً خرابى أن إمادة هذه العلوم، التي هي مادة بشرية (فردا كانت أو جماعة) تختلف اختلافاً جذرياً عن مادة العلوم الطبيعية الجامدة (المتعنة)، لذلك نظر هذا البعض من العلماء، في طرائق خاصة بنقد العلوم، تذكر منها منهج السببية Causation؛ وجوهه المعرفة بأسباب الظواهر والأشياء، ومنهج الإحصاء Statistics، وجوهه معرفة درجة الاحتمالات probability، ومنهج الديالكتيك الذي وضعه الفيلسوف الألماني الشهير هيغل، وتبناه، بعدد، كارل ماركس في دراسة للتاريخ والاجتماع، وجوهه هذا المنهج (المطلق)، هو المعرفة بالتناقضات وحركتها. ولهذا هذه فكرة عامة قدمناها عن مناهج العلوم. الآن أي بين سعيد في هذا الميدان؟ لم أتكم بالخوارق المعجزات، بل أتيتكم بالحققة الرامثة التي هي أتمت، وقد ظن البعض أن سعاده تصد بهذه العجباة، كلاما أدبيا هدفه رفع المعنوية العامة للقوميين الاجتماعيين خصوصا، ولشعبه بوجه عام. الآن، وفي ضوء ما تقدم، فإنه يمكنني أن أقول، إن سعاده كان كلامه كلاما علميا. فهو فعلا قد جاءنا بحقيقتنا، التي هي أننا مجتمع مزيج، كاني يسعاده، قد نظر إليها تقراً رؤوسنا المختلفة، فلم يجدنا سالة راسية واحدة، ولاحظنا ألوان بشرتنا المختلفة، فلم نجدنا سالة جديدة واحدة، والى الاستدلال في التشابه بصفة جسدية وفقا لتعريف علماء الاجتماع الفيزيائي physical anthropology) فانتهى بملاحظته العلمية الدقيقة واستقراءاته، إلى أن حقيقتنا هي حقيقة الواقع الاجتماعي المزيج، وليس حقيقة السلالة الواحدة. هذه الحقيقة كانت نقطة انطلاقنا، التي منها تسلسل تسلسلا تحليليا، لكي يصف الطريق الذي سلكته البشرية في الزمان حتى صارت أمنا.

لكن قبل العضي في خطلتنا بالتحول نحو منهج الاستقراء كنا شرخانا بإيجاز، بقولنا إنه يعتمد على ملاحظة عدّة حوادث، مثل ظاهرة تمدد عدد من المعادن بالحرارة، والوصول إلى معرفة أن كل المعادن تتمدد بالحرارة. منهج الاستقراء هذا، استخدمه سعاده في كتاب نشوء الأمم نفسه. حصل ذلك في الفصل الخامس من الكتاب، الذي عنوانه المجتمع وتطوره. يقول سعاده وهو بصدد شرح «تطور الثقافة العمرانية» ما يلي «ينتج لنا من هذا الاستقراء، أساسان للكتاب الاجتماعي الأولي هما....(3)»

هذا من جهة. من جهة ثانية، نذكر أن سعاده عرف الأمة بانها واقع اجتماعي مزيج. هذه لفحة كتاب المبادئ، يقول سعاده في مطلع شرحه للمبدأ الرابع، الذي نخصه: «الأمة السورية هي وحدة الشعب السوري المتولدة من تاريخ طويل، يرجع إلى ما قبل الزمن التاريخي الجلي، ما يلي: يتبع هذا المبدأ مبدأ التسلسل التحليلي. فهو تحديد لماهية الأمة...»(2). لكن ما علاقة كتاب المبادئ بكتاب نشوء الأمم، حتى جاز أن نجمع بينهما، في موضوع المنهج عند سعاده؟ التمييز بين العلم والفلسفة، لا يعني إلغاء العلاقة بينهما. والحق أقول إنه يستحيل تأسيس علاقة بين شيئين، قبل التمييز بينهما. فإذا كانا شيئين، ولم يكونا شيئا واحدا، أمكن عندئذ درس العلاقة بأكملها، أو النظر فيها. أما إذا كانا شيئا واحدا، فإن موضوع العلاقة لا يعود واردا. فما هي العلاقة بين العلم والفلسفة عموما، وبين علم سعاده وبسفته(المبادئ) على وجه العموم، بالنسبة للعلاقة بين العلم والفلسفة عند سعاده، أحدها على نحو تبسيطي جدا بقولي، إن العلم يقدم للفلسفة مادتها. بكلمة أخرى إذا كان العلم هو

البناء

المناهج عند سعاده والقراءات الخمس II. المناهج



العلم بالقوانين، فإن الفلسفة هي المعرفة بمبادئ القوانين العلمية.

لذلك هناك فلسفة لكل علم. هناك علم الفيزياء وفلسفة الفيزياء، وهناك علم الرياضيات وفلسفة الرياضيات، وهناك علم الاجتماع والفلسفة الاجتماعية، إلخ.

لكن لا بد من الملاحظة، أن الفيلسوف في أي ميدان، ليس من الضروري أن يكون عالما مختصا في الميدان نفسه. قد يوجد فيلسوف في الرياضيات وهو ليس عالما مختصا فيها، وفيلسوف في الفيزياء وهو ليس عالماً مختصاً فيها. ذلك لأن الفيلسوف مهمته اكتشاف المبادئ العامة أو المشتركة، الناظمة لقوانين علم من العلوم. الفيلسوف يبحث عن الوحدة بين معارف علم من العلوم. هذه الوحدة يسميها ميذاً فلسفياً لذلك العلم. لذلك قال بعضهم، إن الفلسفة هي علم العلوم، الذي يلمس المعرفة العامة للعلوم، من حيث مبادئها العامة.

بالنسبة لسعاده، أقول، إن العلم في كتابه نشوء الأمم، هو المادة لفلسفة سعاده القومية الاجتماعية، المنصوص، عنها في مبادئ حزبه. أو أقول، إن لفلسفة سعاده مختصة بالمبادئ المشتركة، لنشوء الأمم ولنبوضها بعد نشوئها.

لنعد الآن إلى مجرى بحثنا الرئيسي. كنت ذكرت نصوصا لسعاده، يمكننا أن نجد فيها تحديداً لمعلم المنهج، الذي اعتمده في كتاب نشوء الأمم. وقد وجدنا أن تلك المعلم ثلاثة هي:

1 - علمية المنهج.
2 - الحقائق البريطانية والحقائق الاجتماعية العلمية، استمدتها سعاده من دراسات وأبحاث العلماء الآخرين، في الجيولوجيا والجغرافيا والسائل البشرية والآثار والتاريخ والاقتصاد والسياسة. أما الظاهرة الاجتماعية التي اخصص بها بامتيان، فقد كانت ظاهرة نشوء الأمم. أي أن سعاده، انصب على درس السلوك الذي اتبعته البشرية، منذ نشوء النوع البشري حتى ظهرت الأمم إلى الوجود. طبعاً في مثل هذا البحث الواسع، كان لا بد لسعاده أن يشير إلى ما قال علماء الأرض، حول الأرض وجغرافيتها، وعلماء السائل البشرية حول النوع البشري وتوزعه، وعلماء السياسة والاقتصاد، حول تنظيم المجتمعات في مؤسسات الدول، والأنظمة الاقتصادية وما سحله علماء التاريخ والآثار، حول العمران البشري بوجه عام، إلخ.

3 - إسم النهج الذي طبقه سعاده هو، كما ذكر في كتاب: المبادئ، منهج التسلسل التحليلي.

أذكر هنا هذه التسمية، وردت في مطلع شرح سعاده، للمبدأ الأساسي الرابع. فما هي خاصة هذا المبدأ الرابع التي تفرض، أن يكون له علاقة بكتاب

نشوء الأمم؟

في المبدأ الأساسي الرابع، يشرح سعاده ميذاً نشوء الأمة السورية. في كتاب نشوء الأمم، يشرح سعاده نشوء الأمم عموماً. فحينما قصدت، ووجدت أن ظاهرة النشوء هي الموضوع، طبعاً، عندما يشرح سعاده ظاهرة نشوء الأمة السورية، فإن منبهجه لا يختلف بجوهده، عن منبهجه في شرح ظاهرة نشوء الأمم عموماً.

لقد بدأ سعاده من الظاهرة نفسها، أي من الملاحظة، فلاحظ سعاده أن كل أمة هي في عالم القرن العشرين، من راح يطبق البند الأول من الطريقة العلمية العامة، التي أتينا على شرحها إلا وهو بند الملاحظة، فلاحظ سعاده أن كل أمة هي في عالم القرن الاجتماعي مزيج بشري من عدّة سلالات في بيئة طبيعية معينة (فطر).

من هذه الحقيقة الثابتة، بدأ تطبيق منهج «التسلسل التحليلي»، الذي وفّر له السلالات التالية، وهي: إذا كانت الأمم مزجياً من سلالات في بيئة طبيعية إذن، قبل أن يكون المزيج، كانت هناك سلالات مختلفة في بيئات الأرض المختلفة، وإن قبل ظهور السلالات والبيئات الطبيعية، كان هناك نوع بشري وأرض بشكل معين. وأن، قبل ذلك، وجد هناك حياة وأرض، بصورة ما. وأن، قبل ذلك وجدت أرض، وليس من حياة عليها. هذا هو كون التسلسل التحليلي.

الآن عندما أراد سعاده وضع كتاب نشوء الأمم لم يتبع الاتجاه نفسه، الذي اتبعه في منبهجه، بل بدأ من البداية، التاريخية الزمنية، أي من الأرض وليس عليها حياة، فعقد فصلاً خاصاً للأرض وجغرافيتها وفصلاً خاصاً للسائل البشرية، إلخ. حتى وصل إلى الأمة، فعقد لأمّة بعد تمام نشوئها، فصلاً خاصاً هو الفصل السابع والأخير من كتابه.

تجدر الإشارة إلى أن سعاده قدم لشعبه، عماله وفلاحيه وغيرهم، كتابه بعبارة بسيطة معبرة يقدرون على فهمها مهما كانت درجاتهم في سلم المعرفة، وذلك في قوله: «لم أتكم بالخوارق المعجزات، بل أتيتكم بالحققة الرامثة التي هي أتمت، وقد ظن البعض أن سعاده تصد بهذه العجباة، كلاما أدبيا هدفه رفع المعنوية العامة للقوميين الاجتماعيين خصوصا، ولشعبه بوجه عام. الآن، وفي ضوء ما تقدم، فإنه يمكنني أن أقول، إن سعاده كان كلامه كلاما علميا. فهو فعلا قد جاءنا بحقيقتنا، التي هي أننا مجتمع مزيج، كاني يسعاده، قد نظر إليها تقراً رؤوسنا المختلفة، فلم نجدنا سالة راسية واحدة، ولاحظنا ألوان بشرتنا المختلفة، فلم نجدنا سالة جديدة واحدة، والى الاستدلال في التشابه بصفة جسدية وفقا لتعريف علماء الاجتماع الفيزيائي physical anthropology) فانتهى بملاحظته العلمية الدقيقة واستقراءاته، إلى أن حقيقتنا هي حقيقة الواقع الاجتماعي المزيج، وليس حقيقة السلالة الواحدة. هذه الحقيقة كانت نقطة انطلاقنا، التي منها تسلسل تسلسلا تحليليا، لكي يصف الطريق الذي سلكته البشرية في الزمان حتى صارت أمنا.

لكن قبل العضي في خطلتنا بالتحول نحو منهج الاستقراء كنا شرخانا بإيجاز، بقولنا إنه يعتمد على ملاحظة عدّة حوادث، مثل ظاهرة تمدد عدد من المعادن بالحرارة، والوصول إلى معرفة أن كل المعادن تتمدد بالحرارة. منهج الاستقراء هذا، استخدمه سعاده في كتاب نشوء الأمم نفسه. حصل ذلك في الفصل الخامس من الكتاب، الذي عنوانه المجتمع وتطوره. يقول سعاده وهو بصدد شرح «تطور الثقافة العمرانية» ما يلي «ينتج لنا من هذا الاستقراء، أساسان للكتاب الاجتماعي الأولي هما....(3)»

هذا من جهة. من جهة ثانية، نذكر أن سعاده عرف الأمة بانها واقع اجتماعي مزيج. هذه

النتيجة استقراها سعاده من ملاحظته للأمم المتعدّمة، واكتشافه أن كل واحدة منها، هي مزيج سلالي وليس سلالة واحدة، كما زعم النازيون والفاشيون باطلاً. الاستقراء هنا يمكننا أن نضعه في الصورة التالية:

1 - الأمة البريطانية واقع اجتماعي مزيج من الإنكليز والسكسون والخورمان... (أي ليست بسلالة واحدة).

2 - الأمة الفرنسية واقع اجتماعي مزيج من الفرنك والجالقة... (أي ليست بسلالة واحدة).

3 - الأمة الإيطالية واقع اجتماعي مزيج من الرومان والأترسكيين واللاتنين... (أي ليست بسلالة واحدة).

4 - الأمة الأميركية واقع اجتماعي مزيج من الإنكليز والألمسان والإيرلنديين والإيطاليين واليونانيين والفرنسيين والسويديين... (أي ليست بسلالة واحدة).

وهذا بالنسبة لأمّة البرازيلية، والأمة الأرجنتينية، والأمة الألمانية وبقيّة الأمم المتعدّمة... (أي واحدة منها ليست بسلالة واحدة).

إن، الأمّة كل أمّة، هي واقع اجتماعي مزيج. هذا الاستقراء يقدم لنا تعريف الأمّة، أما كيفية نشوئها فيشرحه لنا، كما ذكرنا منهج التسلسل التحليلي. وهذا يعني لي أن سعاده، لم يكن ملتزماً بمنهج واحد. وكيف يجوز ذلك؟ ليس يفيد من ذلك تناقضا؟ ليس هناك تناقض، بل هناك تعددية منهجية. بلي، كان سعاده مثل كل العلماء، يؤمن بأن المنهج يتبع المادة المدروسة، أو القضية التي ينصب عليها البحث. وما تعددية المناهج العلمية، إلا بسبب تعددية المواد أو القضايا أو المواضيع المدروسة. وقد مررنا على ذكر هذه النقطة الفورية، عندما كنا بصدد الكلام على المناهج العلمية عموماً.

لنعد الآن إلى كتاب نشوء الأمم، فماذا نجد؟ نجد أن هذا الكتاب في حقيقته المذكورة، بقلم سعاده نفسه، هو كتاب الداخلي، هو مقال في كيفية نشوء الأمم وتعريف الأمة... إذن هناك موضوعان اشتمل عليهما الكتاب هما: موضوع نشوء الأمم، وموضوع تعريف الأمة. الموضوع الأول اقتضى منهج التسلسل التحليلي، أما الموضوع الثاني فاقتضى منهج الاستقراء.

أتناول سعاده، نشوء الأمم، المقدمة. أتناول سعاده، مبادئ الحزب السوري القومي الاجتماعي وغايته. المبدأ الرابع، ص 27.

أتناول سعاده، الآثار الكاملة 1: نشوء الأمم، ص 76.

2 - منطق زينون الروائي والمنهج الخطابي عند سعاده
منطق زينون الروائي: يُعرّف الرياضيات الحديثة بأنه Hypohtico–deductive system، نظام افتراض استدلال، أو نقول هو علم يقوم على إنتاج نتائج معينة من فروض معينة، على سبيل المثال أذكر ما يلي: إذا كان الشكل الهندسي مثلثا، فإن مجموع زواياه الداخلية، مائة وثمانون درجة. هذه القضية (الجملة)، قضية شرطية رابطتها لفظة «إذا»، وهي تستند إلى مبدأ الدليل. في مثالنا هذا، الدليل على أن مجموع الزوايا الداخلية، مائة وثمانون درجة، هو كون الشكل الهندسي مثلثا.

القضايا (الجمال) الهندسية، هي في غالبيتها قضايا شرطية، مثل القضاياا عند الرواقيين أتباع زينون الروائي من صور القديمة. والقضايا الشرطية نوعان، هما: قضايا شرطية منفصلة رابطتها «إذا»، وقضايا شرطية منفصلة رابطتها «إما». والنوعان يستخدمان في علم الرياضيات. (المثل على النوع الثاني، أكثر ما نجده في البرهان المعروف بالبرهان بالخلف، أو البرهان بنقض الفرض، فقولنا: إما أن يكون الخط المستقيم ط، موازياً للخط المستقيم ت، أو لا يكون. هذا النوع من المنطق، استخدمه سعاده في خطبه بصورة خاصة وملفتة، حقاً. لكن قبل العضيّ قدما في شرح منهج الخطب عند سعاده، لا بد لنا من إعطاء فكرة عن أهمية المنطق الزينوني عموماً ثم عند سعاده بخاصة. يكفي أن نستشهد بقول بصورة عامة، بكيفية أن نستشهد بقول عالم المنطق البولوني البارز لوكاسيفيكس Lukasiewics الذي قال، في عام 1927، إن



الرواقيين لم يكتشفوا مبدأ التضمن المادي المتعدّمة، واكتشافه أن كل واحدة منها، هي مزيج سلالي وليس سلالة واحدة، كما زعم النازيون والفاشيون باطلاً. الاستقراء هنا يمكننا أن نضعه في الصورة التالية:

1 - الأمة البريطانية واقع اجتماعي مزيج من الإنكليز والسكسون والخورمان... (أي ليست بسلالة واحدة).

2 - الأمة الفرنسية واقع اجتماعي مزيج من الفرنك والجالقة... (أي ليست بسلالة واحدة).

3 - الأمة الإيطالية واقع اجتماعي مزيج من الرومان والأترسكيين واللاتنين... (أي ليست بسلالة واحدة).

وهذا بالنسبة لأمّة البرازيلية، والأمة الأرجنتينية، والأمة الألمانية وبقيّة الأمم المتعدّمة... (أي واحدة منها ليست بسلالة واحدة).

إن، الأمّة كل أمّة، هي واقع اجتماعي مزيج. هذا الاستقراء يقدم لنا تعريف الأمّة، أما كيفية نشوئها فيشرحه لنا، كما ذكرنا منهج التسلسل التحليلي. وهذا يعني لي أن سعاده، لم يكن ملتزماً بمنهج واحد. وكيف يجوز ذلك؟ ليس يفيد من ذلك تناقضا؟ ليس هناك تناقض، بل هناك تعددية منهجية. بلي، كان سعاده مثل كل العلماء، يؤمن بأن المنهج يتبع المادة المدروسة، أو القضية التي ينصب عليها البحث. وما تعددية المناهج العلمية، إلا بسبب تعددية المواد أو القضايا أو المواضيع المدروسة. وقد مررنا على ذكر هذه النقطة الفورية، عندما كنا بصدد الكلام على المناهج العلمية عموماً.

لنعد الآن إلى كتاب نشوء الأمم، فماذا نجد؟ نجد أن هذا الكتاب في حقيقته المذكورة، بقلم سعاده نفسه، هو كتاب الداخلي، هو مقال في كيفية نشوء الأمم وتعريف الأمة... إذن هناك موضوعان اشتمل عليهما الكتاب هما: موضوع نشوء الأمم، وموضوع تعريف الأمة. الموضوع الأول اقتضى منهج التسلسل التحليلي، أما الموضوع الثاني فاقتضى منهج الاستقراء.

أتناول سعاده، نشوء الأمم، المقدمة. أتناول سعاده، مبادئ الحزب السوري القومي الاجتماعي وغايته. المبدأ الرابع، ص 27.

أتناول سعاده، الآثار الكاملة 1: نشوء الأمم، ص 76.

2 - منطق زينون الروائي والمنهج الخطابي عند سعاده
منطق زينون الروائي: يُعرّف الرياضيات الحديثة بأنه Hypohtico–deductive system، نظام افتراض استدلال، أو نقول هو علم يقوم على إنتاج نتائج معينة من فروض معينة، على سبيل المثال أذكر ما يلي: إذا كان الشكل الهندسي مثلثا، فإن مجموع زواياه الداخلية، مائة وثمانون درجة. هذه القضية (الجملة)، قضية شرطية رابطتها لفظة «إذا»، وهي تستند إلى مبدأ الدليل. في مثالنا هذا، الدليل على أن مجموع الزوايا الداخلية، مائة وثمانون درجة، هو كون الشكل الهندسي مثلثا.

القضايا (الجمال) الهندسي، هي في غالبيتها قضايا شرطية، مثل القضاياا عند الرواقيين أتباع زينون الروائي من صور القديمة. والقضايا الشرطية نوعان، هما: قضايا شرطية منفصلة رابطتها «إذا»، وقضايا شرطية منفصلة رابطتها «إما». والنوعان يستخدمان في علم الرياضيات. (المثل على النوع الثاني، أكثر ما نجده في البرهان المعروف بالبرهان بالخلف، أو البرهان بنقض الفرض، فقولنا: إما أن يكون الخط المستقيم ط، موازياً للخط المستقيم ت، أو لا يكون. هذا النوع من المنطق، استخدمه سعاده في خطبه بصورة خاصة وملفتة، حقاً. لكن قبل العضيّ قدما في شرح منهج الخطب عند سعاده، لا بد لنا من إعطاء فكرة عن أهمية المنطق الزينوني عموماً ثم عند سعاده بخاصة. يكفي أن نستشهد بقول بصورة عامة، بكيفية أن نستشهد بقول عالم المنطق البولوني البارز لوكاسيفيكس Lukasiewics الذي قال، في عام 1927، إن

أما س أو ص
س
س
إن لاص
5) أما أن يكون هذا نهاراً أو ليلاً
هذا ليس بليل
إذن هو نهار
وصورته الرمزية:

أما س أو ص
س
س
إن لاص
إن س

ذكرنا حتى الآن الأقيسة البرهانية التي قام عليها الديالكتيك الروائي. بقي أن نبين أهمية هذا المنطق، وفي سبيل هذه الغاية تسجل الملاحظات التالية:

يمتاز هذا المنطق أيضاً عن المنطق الأسطاطلسي بالإضافة إلى اعتماده على القضايا الشرطية وأنه يوصل وحده أن يكون منطقاً للعلوم عموماً وللعلوم الطبيعية والرياضية خصوصاً القديمة والحديثة. ذلك لأنه منطق دليل ومدلول وليس منطق حامل ومحمول (صفة وموصوف) كما هو المنطق الأسطاطلسي. فإرسطو يركز اهتمامه عندما يقال: إنسان، على صفات الإنسان التي منها صفة الفناء فينشئ القضية التالية: كل إنسان فان، في حين أن الرواقيين يحفظون عن الدليل الذي عليه يقوم البرهان الذي يكون عادة دليل علة أو دليل معلول. فدليلهم في القياس الأول على «وجود النهار، هو «طلوع الشمس»، وهكذا، هذا هو منطق العلوم الفيزيائية عينه: فنحن نستدل مثلا على وجود حرارة بتمدد الأجسام كما نستدل على مرور تيار كهربائي برؤية انحراف الإبرة في مقياس التيار عن التدرج صفر أو برؤية ضوء مصباح موضوع في الدارة الكهربائية المغلقة.

كذلك في العلوم الاجتماعية، بإمكاننا الاستدلال على دروس نظام رأسمالي من ملاحظتنا وجود مجتمع طبقات، والاستدلال على وجود أمة من وعى أبنائها لمثل عليا مشتركة أو من عصبيتهم للخير العمومي.

وفي العلوم الرياضية نحن نستدل على أن الشكل الرباعي هو شكل رباعي دائري. من معرفتنا أن المصراع زاويتين متقابلتين فيه 180 درجة فتكتب برهاننا على النحو التالي:

إذا كان مجموع زاويتين متقابلتين في شكل رباعي يساوي 180 درجة، فالشكل الرباعي دائري.

بما أن مجموع زاويتين متقابلتين في الشكل الرباعي الذي أمامنا يساوي 180 درجة.

إذن هذا الشكل الرباعي دائري.

وهو القياس الأول.

هذا مثل من الهندسة المستوية Plane Geometry أما في الهندسة الفراغية Solid Geometry فكثر من براهيننا يعتمد على القياس الخامس. مثل ذلك البرهان على أن نهايات الفلاسفة لمخزالي وهاثافت التهاافت لن كون مستقيما ق يوازي مستقيما ق أو مستويا ي. نبدا برهاننا بالقول إنه: إما أن يكون ق موازيا ي أو ليس موازيا ي.

ثم نبرهن أنه ليس موازيا ي لنستدل بعد ذلك أن ق يوازي ي. هذا النمط من البرهان عرف في تاريخ الفكر الفلسفي بالبرهان بالخلف أو البرهان بنقض الفرض. وهو النمط الذي اعتمده الفلاسفة لإثبات نظريتهم في قدم العالم (انظر في كتابي تهاافت الفلاسفة لمخزالي وهاثافت التهاافت لن كرابي برهاننا بالقول إنه: إما أن يكون ق موازيا ي أو ليس موازيا ي.

ثم نبرهن أنه ليس موازيا ي لنستدل بعد ذلك أن ق يوازي ي. هذا النمط من البرهان عرف في تاريخ الفكر الفلسفي بالبرهان بالخلف أو البرهان بنقض الفرض. وهو النمط الذي اعتمده الفلاسفة لإثبات نظريتهم في قدم العالم (انظر في كتابي تهاافت الفلاسفة لمخزالي وهاثافت التهاافت لن كرابي برهاننا بالقول إنه: إما أن يكون ق موازيا ي أو ليس موازيا ي.

ثم نبرهن أنه ليس موازيا ي لنستدل بعد ذلك أن ق يوازي ي. هذا النمط من البرهان عرف في تاريخ الفكر الفلسفي بالبرهان بالخلف أو البرهان بنقض الفرض. وهو النمط الذي اعتمده الفلاسفة لإثبات نظريتهم في قدم العالم (انظر في كتابي تهاافت الفلاسفة لمخزالي وهاثافت التهاافت لن كرابي برهاننا بالقول إنه: إما أن يكون ق موازيا ي أو ليس موازيا ي.

ثم نبرهن أنه ليس موازيا ي لنستدل بعد ذلك أن ق يوازي ي. هذا النمط من البرهان عرف في تاريخ الفكر الفلسفي بالبرهان بالخلف أو البرهان بنقض الفرض. وهو النمط الذي اعتمده الفلاسفة لإثبات نظريتهم في قدم العالم (انظر في كتابي تهاافت الفلاسفة لمخزالي وهاثافت التهاافت لن كرابي برهاننا بالقول إنه: إما أن يكون ق موازيا ي أو ليس موازيا ي.

ثم نبرهن أنه ليس موازيا ي لنستدل بعد ذلك أن ق يوازي ي. هذا النمط من البرهان عرف في تاريخ الفكر الفلسفي بالبرهان بالخلف أو البرهان بنقض الفرض. وهو النمط الذي اعتمده الفلاسفة لإثبات نظريتهم في قدم العالم (انظر في كتابي تهاافت الفلاسفة لمخزالي وهاثافت التهاافت لن كرابي برهاننا بالقول إنه: إما أن يكون ق موازيا ي أو ليس موازيا ي.

ثم نبرهن أنه ليس موازيا ي لنستدل بعد ذلك أن ق يوازي ي. هذا النمط من البرهان عرف في تاريخ الفكر الفلسفي بالبرهان بالخلف أو البرهان بنقض الفرض. وهو النمط الذي اعتمده الفلاسفة لإثبات نظريتهم في قدم العالم (انظر في كتابي تهاافت الفلاسفة لمخزالي وهاثافت التهاافت لن كرابي برهاننا بالقول إنه: إما أن يكون ق موازيا ي أو ليس موازيا ي.

ثم نبرهن أنه ليس موازيا ي لنستدل بعد ذلك أن ق يوازي ي. هذا النمط من البرهان عرف في تاريخ الفكر الفلسفي بالبرهان بالخلف أو البرهان بنقض الفرض. وهو النمط الذي اعتمده الفلاسفة لإثبات نظريتهم في قدم العالم (انظر في كتابي تهاافت الفلاسفة لمخزالي وهاثافت التهاافت لن كرابي برهاننا بالقول إنه: إما أن يكون ق موازيا ي أو ليس موازيا ي.

ثم نبرهن أنه ليس موازيا ي لنستدل بعد ذلك أن ق يوازي ي. هذا النمط من البرهان عرف في تاريخ الفكر الفلسفي بالبرهان بالخلف أو البرهان بنقض الفرض. وهو النمط الذي اعتمده الفلاسفة لإثبات نظريتهم في قدم العالم (انظر في كتابي تهاافت الفلاسفة لمخزالي وهاثافت التهاافت لن كرابي برهاننا بالقول إنه: إما أن يكون ق موازيا ي أو ليس موازيا ي.

ثم نبرهن أنه ليس موازيا ي لنستدل بعد ذلك أن ق يوازي ي. هذا النمط من البرهان عرف في تاريخ الفكر الفلسفي بالبرهان بالخلف أو البرهان بنقض الفرض. وهو النمط الذي اعتمده الفلاسفة لإثبات نظريتهم في قدم العالم (انظر في كتابي تهاافت الفلاسفة لمخزالي وهاثافت التهاافت لن كرابي برهاننا بالقول إنه: إما أن يكون ق موازيا ي أو ليس موازيا ي.

ثم نبرهن أنه ليس موازيا ي لنستدل بعد ذلك أن ق يوازي ي. هذا النمط من البرهان عرف في تاريخ الفكر الفلسفي بالبرهان بالخلف أو البرهان بنقض الفرض. وهو النمط الذي اعتمده الفلاسفة لإثبات نظريتهم في قدم العالم (انظر في كتابي تهاافت الفلاسفة لمخزالي وهاثافت التهاافت لن كرابي برهاننا بالقول إنه: إما أن يكون ق موازيا ي أو ليس موازيا ي.

ثم نبرهن أنه ليس موازيا ي لنستدل بعد ذلك أن ق يوازي ي. هذا النمط من البرهان عرف في تاريخ الفكر الفلسفي بالبرهان بالخلف أو البرهان بنقض الفرض. وهو النمط الذي اعتمده الفلاسفة لإثبات نظريتهم في قدم العالم (انظر في كتابي تهاافت الفلاسفة لمخزالي وهاثافت التهاافت لن كرابي برهاننا بالقول إنه: إما أن يكون ق موازيا ي أو ليس موازيا ي.

ثم نبرهن أنه ليس موازيا ي لنستدل بعد ذلك أن ق يوازي ي. هذا النمط من البرهان عرف في تاريخ الفكر الفلسفي بالبرهان بالخلف أو البرهان بنقض الفرض. وهو النمط الذي اعتمده الفلاسفة لإثبات نظريتهم في قدم العالم (انظر في كتابي تهاافت الفلاسفة لمخزالي وهاثافت التهاافت لن كرابي برهاننا بالقول إنه: إما أن يكون ق موازيا ي أو ليس موازيا ي.

ثم نبرهن أنه ليس موازيا ي لنستدل بعد ذلك أن ق يوازي ي. هذا النمط من البرهان عرف في تاريخ الفكر الفلسفي بالبرهان بالخلف أو البرهان بنقض الفرض. وهو النمط الذي اعتمده الفلاسفة لإثبات نظريتهم في قدم العالم (انظر في كتابي تهاافت الفلاسفة لمخزالي وهاثافت التهاافت لن كرابي برهاننا بالقول إنه: إما أن يكون ق موازيا ي أو ليس موازيا ي.

ثم نبرهن أنه ليس موازيا ي لنستدل بعد ذلك أن ق يوازي ي. هذا النمط من البرهان عرف في تاريخ الفكر الفلسفي بالبرهان بالخلف أو البرهان بنقض الفرض. وهو النمط الذي اعتمده الفلاسفة لإثبات نظريتهم في قدم العالم (انظر في كتابي تهاافت الفلاسفة لمخزالي وهاثافت التهاافت لن كرابي برهاننا بالقول إنه: إما أن يكون ق موازيا ي أو ليس موازيا ي.

ثم نبرهن أنه ليس موازيا ي لنستدل بعد ذلك أن ق يوازي ي. هذا النمط من البرهان عرف في تاريخ الفكر الفلسفي بالبرهان بالخلف أو البرهان بنقض الفرض. وهو النمط الذي اعتمده الفلاسفة لإثبات نظريتهم في قدم العالم (انظر في كتابي تهاافت الفلاسفة لمخزالي وهاثافت التهاافت لن كرابي برهاننا بالقول إنه: إما أن يكون ق موازيا ي أو ليس موازيا ي.

ثقافة

كل آلة حديثة إنما هي معادلة رياضية (رواقية) معقدة من المعدن.

هذه الملاحظات عن أهمية الديالكتيك الروائي لتلخصها شهادة أحد كبار المنطقيين في هذا العصر Benson Mates في قوله التالي: «إن الفكرة التي سيطر فيها المنطق الأرسطاطلسي لم تكن لتطول بهذا المقدار إذ كانت اختصرت لو أن بعض النصوص القديمة (الرواقية) درست بمقدار أكبر من العناية»(6).

استناداً لهذه الشهادة العلمية يمكننا القول غن خضوع الدوائر الفلسفية والعلمية لسيطرة الفكر عليها الديالكتيك الروائي. بقي أن نبين أهمية هذا المنطق، وفي سبيل هذه الغاية تسجل الملاحظات التالية:

يمتاز هذا المنطق أيضاً عن المنطق الأسطاطلسي بالإضافة إلى اعتماده على القضايا الشرطية وأنه يوصل وحده أن يكون منطقاً للعلوم عموماً وللعلوم الطبيعية والرياضية خصوصاً القديمة والحديثة. ذلك لأنه منطق دليل ومدلول وليس منطق حامل ومحمول (صفة وموصوف) كما هو المنطق الأسطاطلسي. فإرسطو يركز اهتمامه عندما يقال: إنسان، على صفات الإنسان التي منها صفة الفناء فينشئ القضية التالية: كل إنسان فان، في حين أن الرواقيين يحفظون عن الدليل الذي عليه يقوم البرهان الذي يكون عادة دليل علة أو دليل معلول. فدليلهم في القياس الأول على «وجود النهار، هو «طلوع الشمس»، وهكذا، هذا هو منطق العلوم الفيزيائية عينه: فنحن نستدل مثلا على وجود حرارة بتمدد الأجسام كما نستدل على مرور تيار كهربائي برؤية انحراف الإبرة في مقياس التيار عن التدرج صفر أو برؤية ضوء مصباح موضوع في الدارة الكهربائية المغلقة.

كذلك في العلوم الاجتماعية، بإمكاننا الاستدلال على دروس نظام رأسمالي من ملاحظتنا وجود مجتمع طبقات، والاستدلال على وجود أمة من وعى أبنائها لمثل عليا مشتركة أو من عصبيتهم للخير العمومي.

وفي العلوم الرياضية نحن نستدل على أن الشكل الرباعي هو شكل رباعي دائري. من معرفتنا أن المصراع زاويتين متقابلتين فيه 180 درجة فتكتب برهاننا على النحو التالي:

إذا كان مجموع زاويتين متقابلتين في شكل رباعي يساوي 180 درجة، فالشكل الرباعي دائري.

بما أن مجموع زاويتين متقابلتين في الشكل الرباعي الذي أمامنا يساوي 180 درجة.

إذن هذا الشكل الرباعي دائري.

وهو القياس الأول.

هذا مثل من الهندسة المستوية Plane Geometry أما في الهندسة الفراغية Solid Geometry فكثر من براهيننا يعتمد على القياس الخامس. مثل ذلك البرهان على أن نهايات الفلاسفة لمخزالي وهاثافت التهاافت لن كون مستقيما ق يوازي مستقيما ق أو مستويا ي. نبدا برهاننا بالقول إنه: إما أن يكون ق موازيا ي أو ليس موازيا ي.

ثم نبرهن أنه ليس موازيا ي لنستدل بعد ذلك أن ق يوازي ي. هذا النمط من البرهان عرف في تاريخ الفكر الفلسفي بالبرهان بالخلف أو البرهان بنقض الفرض. وهو النمط الذي اعتمده الفلاسفة لإثبات نظريتهم في قدم العالم (انظر في كتابي تهاافت الفلاسفة لمخزالي وهاثافت التهاافت لن كرابي برهاننا بالقول إنه: إما أن يكون ق موازيا ي أو ليس موازيا ي.

ثم نبرهن أنه ليس موازيا ي لنستدل بعد ذلك أن ق يوازي ي. هذا النمط من البرهان عرف في تاريخ الفكر الفلسفي بالبرهان بالخلف أو البرهان بنقض الفرض. وهو النمط الذي اعتمده الفلاسفة لإثبات نظريتهم في قدم العالم (انظر في كتابي تهاافت الفلاسفة لمخزالي وهاثافت التهاافت لن كرابي برهاننا بالقول إنه: إما أن يكون ق موازيا ي أو ليس موازيا ي.

ثم نبرهن أنه ليس موازيا ي لنستدل بعد ذلك أن ق يوازي ي. هذا النمط من البرهان عرف في تاريخ الفكر الفلسفي بالبرهان بالخلف أو البرهان بنقض الفرض. وهو النمط الذي اعتمده الفلاسفة لإثبات نظريتهم في قدم العالم (انظر في كتابي تهاافت الفلاسفة لمخزالي وهاثافت التهاافت لن كرابي برهاننا بالقول إنه: إما أن يكون ق موازيا ي أو ليس موازيا ي.

ثم نبرهن أنه ليس موازيا ي لنستدل بعد ذلك أن ق يوازي ي. هذا النمط من البرهان عرف في تاريخ الفكر الفلسفي بالبرهان بالخلف أو البرهان بنقض الفرض. وهو النمط الذي اعتمده الفلاسفة لإثبات نظريتهم في قدم العالم (انظر في كتابي تهاافت الفلاسفة لمخزالي وهاثافت التهاافت لن كرابي برهاننا بالقول إنه: إما أن يكون ق موازيا ي أو ليس موازيا ي.

ثم نبرهن أنه ليس موازيا ي لنستدل بعد ذلك أن ق يوازي ي. هذا النمط من البرهان عرف في تاريخ الفكر الفلسفي بالبرهان بالخلف أو البرهان بنقض الفرض. وهو النمط الذي اعتمده الفلاسفة لإثبات نظريتهم في قدم العالم (انظر في كتابي تهاافت الفلاسفة لمخزالي وهاثافت التهاافت لن كرابي برهاننا بالقول إنه: إما أن يكون ق موازيا ي أو ليس موازيا ي.

ثم نبرهن أنه ليس موازيا ي لنستدل بعد ذلك أن ق يوازي ي. هذا النمط من البرهان عرف في تاريخ الفكر الفلسفي بالبرهان بالخلف أو البرهان بنقض الفرض. وهو النمط الذي اعتمده الفلاسفة لإثبات نظريتهم في قدم العالم (انظر في كتابي تهاافت الفلاسفة لمخزالي وهاثافت التهاافت لن كرابي برهاننا بالقول إنه: إما أن يكون ق موازيا ي أو ليس موازيا ي.

ثم نبرهن أنه ليس موازيا ي لنستدل بعد ذلك أن ق يوازي ي. هذا النمط من البرهان عرف في تاريخ الفكر الفلسفي بالبرهان بالخلف أو البرهان بنقض الفرض. وهو النمط الذي اعتمده الفلاسفة لإثبات نظريتهم في قدم العالم (انظر في كتابي تهاافت الفلاسفة لمخزالي وهاثافت التهاافت لن كرابي برهاننا بالقول إنه: إما أن يكون ق موازيا ي أو ليس موازيا ي.

ثم نبرهن أنه ليس موازيا ي لنستدل بعد ذلك أن ق يوازي ي. هذا النمط من البرهان عرف في تاريخ الفكر الفلسفي بالبرهان بالخلف أو البرهان بنقض الفرض. وهو النمط الذي اعتمده الفلاسفة لإثبات نظريتهم في قدم العالم (انظر في كتابي تها